Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقعت فى السمن ، فقال : إن كان جامسا ألقى ما حوله وأكل . والجامس من النبات ما ذهبت غضوضته ورطوبته فولّى وجسأ ، ويقال : ليلة جماسية ، بالضم : أى باردة يجمس فيها الماء (ولماذا ليس السمن) ؟ ، وصخرة جامسة : يابسة[٢] . . ومع صحة الاستعمالين فإن الشاعر فى رفضه لعبودية الصفة للموصوف الشائع قد أغنى الصورة باستعمال هذا الوصف متحررا من تبعيته الشائعة ليعطى معنى الجامد والذى ذهبت غضاضته ورطوبته فولّى وجسأ . ولا نظن أن القضية يمكن حلها من خلال القول بالتجربة الشخصية مع الألفاظ ، صحيح أن الفرق بين الشاعر وناقده قرن من الزمان[٣] ، ولكن الأصمعى مات معمرا ، على أن ثقافة شفاهية سلفية الطابع تظل فى مجراها الرئيسى ممكنة عبر قرن من الزمان ، فضلا عن أن التمرد على الدلالة المركزية سار فى الاتجاه العكسى للمألوف ، فالذى تمليه طبيعة التطور أن يلتزم السابق بالدلالة الأساسية ، ويتمرد عليها اللاحق ويجدد باحثا عن دلالة مجازية أو هامشية .

الآن يمكننا قراءة البيت مرة أخرى ، ولنتذكر كيف تمتزج خطوط الألوان عند نقط الالتقاء فى لوحة رسمت بألوان مائية . إن اللون الأقوى يزحف بظلاله على مساحة من اللون المجاور ويصنع منطقة مشتركة ، وهنا لا يحق لنا أن نتحدث عن تجربة الرسام مع الألوان ، لقد تم الامتزاج بين اللونين بقوة الألوان ، أو بقوة أحد اللونين على التحديد ، ودون إرادة منه . وحين نقرأ البيت سنجد فى مقدمه ما يطعم الكريم قصاده « عبيط الشحم » ، وكان يمكن أن يكون « عبيط اللحم » ، ولكنه أراد مادة أكثر دسما حرصا على الدفء ، وحينئذ كان لا مفر من تعدى دلالة « الشحم » وآثاره وصفاته إلى « الماء » الذى لم يعد ماء — رمزا للبرودة ، ولكنه قسمة بين هذه الدلالة وكونه يجاور الشحم فتلحقه آثاره بقوة القصور الذاتى للكلمة ، بقوة نفوذ الشحم على الماء ، ومحاولة إخراجه من عزلة دلالته إلى دلالة يمكن أن تكون مساوقة لما قبله .

إن تأمل تأثير الجوار بين الكلمات — الصور فى البيت الواحد يمكن أن يعطى تفسيرا لكثير من الاستعمالات الخاصة التى اعتبرت أخطاء أو انحرافات فى الاستعمال ، ولكى نجزم بالمدى الذى يمكن أن يبلغه تأثير كلمة أو تعبير أو صورة ، فإننا بحاجة إلى التعرف على جوانب من العملية

---

(٢) تاج العروس جـ ١٥ ص ٥١٣ مادة : جمس .

(٣) توفى ذو الرمة سنة ١١٧ هـ والأصمعى سنة ٢١٦ هـ .